الرُّؤيةُ الغَربيَّةُ لِلإسلامِ
عقيدة وثقافة

د. صالح بن عبد العزيز التويجري
أستاذ العقيدة المساعد بجامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. . .

أما بعد:

يمر العالم بمرحلة انتقالية طابعها صراع الأطراف الدولية كبيرها وصغيرها، وتتخذ هذه الصراعات والأزمات أشكالاً مختلفة: دينية وعرقية وقبلية وإقليمية، هذا فضلاً عن تفاقم الأزمات الاقتصادية والأخطار النووية والبيئية والاستخدامات غير الرشيدة للتكنولوجيا والتقدم العلمي، وتجري تلك التحديات على الصعيد العالمي وفقاً لثقافات وخبرات ومصالح مختلفة ومتعارضة.

وأدَّى انهيار المعسكر الاشتراكي، وانتهاء مرحلة القطبية الثنائية، إلى محاولة قطب واحد فرضَ هيمنته على العالم، بشتى الأساليب، في ظل اختلال في التوازن الدولي وسعي لا يهدأ من الدول الكبرى لحل أزمتها على حساب الدول الصغرى.

ويحل ببلدان العالم الثالث، وخاصة البلدان العربية، الناتج الأكبر لآثار هذه السياسات، حصاراً وعزلاً وعنصرية وتدخلاً وهيمنة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية.

ويسير العالم بخطًى حثيثة إلى القرن الواحد والعشرين، والمثقفون والمفكرون مشغولون بهموم بلدانهم وأقدارها. فالثورة التكنولوجية والعلمية والمعلوماتية توفر لمن يحوز أدواتها قدرات هائلة، والفجوة بين من يمتلك تلك الإمكانيات ومن لا يمتلك تزداد اتساعاً بمعدلات مركبة.

إن المشاركة في هذا البحث خطوة في تحديد الموقف الصحيح من الغرب بحسب المنطلق الذي يدفعه في النظرة إلى الإسلام، وحيث تعددت وسائل المعرفة وتنوعت مصادرها، وظهرت أعمال غير مسؤولة تحسب على الإسلام؛ بل وثمة مؤلفات وقنوات تسقط على بعضها في عراك شوش الرؤية لدى الغرب، وهنا سوف يتم تسليط الضوء على مصادر الغرب التي بنوا عليها موقفهم من قنوات ومؤلفات، وكذلك الرؤية المعتدلة عند الغرب من مفكرين وعلماء ومصنفين، وكذلك دور المسلمين في توضيح الصورة لحقيقة الإسلام وقنوات هذا التعريف، ورد الشبهات التي قد يفهمها الغرب سلبيات، وهي فضائل حين يتم الكشف على أبعادها جمعاء.

وسوف يتم العمل على النحو التالي:

- تحرير معنى الحرية.
- الأسباب التي شكلت رؤية الغرب للإسلام.
- حقيقة الدعوى ورد الشبهات.
- دور المسلمين في تكوين هذه الرواسب.
- فكرة الصراع والتدافع والتحدي في التعامل لا في الإزالة.
- تحديد الرؤية والموقف من؟ بالنسبة لمن؟



- ما الذي نتحاكم إليه هل رؤية الغرب، أم حقيقة الإسلام، أم القوانين العدلية الثابتة؟ إلى أي حد يملك المسلمون التنازل؟

- إلى متى يبقى المسلمون ينتظرون تقويم منهجهم من الآخرين دون أن يكلفوا أنفسهم عناء المراجعات لمواقفهم؟



تحرير معنى الحرية

❑ مفهوم الحرية:

يقصد بالحرية قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية، وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله، بعيداً «عن سيطرة الآخرين لأنه ليس مملوكاً» لأحد لا في نفسه ولا في بلده ولا في قومه ولا في أمته[1].

وفي العصور القديمة والقرون الوسطى كان مفهوم الحرية يقف مقابلاً لمفهوم العبودية والسجن، فالإنسان الحر هو ذلك الذي ليس بعبد ولا سجين. نستطيع ملاحظة أمر هام هنا وهو أن هذا الفهم لا يزال موجوداً في الثقافة الشعبية عندنا فكلمة حر هي وصف للتمييز عن العبد أو الذي كان عبداً قبل التحرير. الحرية خارج هذا الفهم كانت فيما يسمى «اللامفكر فيه». هذا الفهم للحرية يمكن وصفه بالأولي والبدائي[2]:

الحرية بعد ذلك أخذت أبعاداً أكثر تطوراً وامتداداً. خصوصاً مع تطور التنظيرات للمجتمع والعقد الاجتماعي على أيدي فلاسفة وقانونيِّ النهضة والتنوير في أوروبا بالذات. حيث تفتحت آفاق واسعة في هذا المفهوم كما حدث في مفاهيم عدة أخرى، فالعقل في التنوير الأوروبي ليس هو العقل الشرق أوسطي بالتأكيد. والعلم لم يعد كما كان في القرون الوسطى. كل هذه المفاهيم أخذت أبعاداً أوسع أو توجهات مختلفة، الكثير من الباحثين يرون أن ما حصل هو قطيعة كاملة مع إرث القرون الوسيطة قام به التنوير

(١) الأصول الفكرية للإعلام: دراسة نقدية مقارنة، د. سعيد علي ثابت، ص٧٤.

(٢) الحرية والالتزام، عبدالله المطيري، جريدة الوطن السعودية. العدد (١٧٩٧).



الأوروبي انطلاقاً من فلاسفة وعلماء عصور الإصلاح والنهضة[1].

لا شك؛ أن الحرية حق طبيعي منحه الله تعالى لكل إنسان، وهي ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، كما أنها الميزة التي ميَّز الله سبحانه بها الإنسان عن سائر الكائنات.

الحرية عنوان خلَّاب ولامع، والخطورة فيه أن كثيراً ممن يطالبون به سيشقون به؛ فدعاة الحرية هم أشقى الناس في الحرية؛ لأن إطلاقها للآخرين بشكل متفلّت سوف يزحف إلى حرية هؤلاء الدعاة الشخصية؛ لأن التوسع في باب الحرية هو إلغاء لعدد من الحواجز والقواطع والحدود التي هي تقاطعات لمصالح الناس.

والحرية إما حرية تتعلق بالدين، فهذه لا يملك أحد أن يملي عليها ضوابط، وإنما جاءت في الشريعة. وإما حرية تتعلق بالآداب الاجتماعية وبعادات الناس وتقاليدهم فهذه خاضعة لمعايير ثابتة؛ كالعدل ومنع الظلم والحياء وغيرها، وكلها مطالب بشرية وأركان أساسية للحياة لكن بالمفهوم المستقيم على ضوء الضوابط التي تقوّم بها الأمم... وهذه المعايير تقف سدًّا دون تعديات الحرية المزعومة. وهناك أيضاً حريات أخرى تتعلق بالعادات والتقاليد ينبغي أن تحدد بضوابط معينة ترجع إلى أصول ثابتة.

لقد رفعت الحرية عدداً من الأفكار والنظريات والمذاهب المادية من علمانية أو ماسونية أو وجودية؛ لكن معظم أتباع الحرية ومن سقط في بريقها فئات يظنون أنهم مضطهدون سواء كانوا من النساء أو المراهقين أو الأطفال الذين لا يفكرون بتبعات الحرية فقبلوه على علّاته؛ لأنه بقدر الحرية تكون المسؤولية، ففي حجم ما تعطى من حرية تحاسب، وكل ما ضاقت عليك الحدود والضوابط قلَّ حسابك؛ لأن التبعة والمسؤولية تكون على هذه الضوابط والحدود. ولهذا؛ فإنه ينبغي أن يدرك الإنسان معنى الحرية وإلى أي حد يمكن أن تكون.

---

(١) الحرية والالتزام، عبدالله المطيري، جريدة الوطن السعودية. العدد (١٧٩٧).

الحرية في الإسلام:

لا ريب أن الإسلام هو الذي كفل الحريات وجاء بالحرية، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه في مشهد من الناس كلمته المشهورة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»[(١)]، وهي كلمة ذات مغزى بعيد، فإنها تدل على أن الإسلام جاء ليحرر الرقاب، وجاء ليخلص هذه النفوس من أسر بعضها لبعض، وجاء الإسلام ليرفع من شأن هذا الإنسان وليبوئه مبوأ الكرامة.

ويبين سبحانه أن منافع الكون مخلوقة لهذا الإنسان، فهو تعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ويقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، فيد الإنسان يد حرة في الانتفاع بهذه المنافع التي لا تكون على حساب الآخر، أو على حساب الفضيلة، أو على حساب العقيدة والأخلاق.

ضوابط الحرية:

وعندما تكون الحرية حرية مطلقة هكذا تكون الفوضى في حياة الناس، ولكن الحرية لا بد لها من ضوابط، إذ الحرية كائن هش يحتاج إلى حماية باستمرار، ومصدر الخطورة عليه من طرفين؛ الطرف

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أو تاريخ عمر بن الخطاب، أبو الفرج عبدالرحمٰن بن علي بن الجوزي، تحقيق: زينب إبراهيم القاروط، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٩٨.



الأول: الميول الاستبدادية والقمعية لدى الأفراد والجماعات والتي إن لم يتم وضع الحدود لها تم اختراق الحريات والقضاء عليها، وهذا الخطر لا يحتاج إلى شاهد، فالتاريخ البشري على امتداده زاخر بالاستبداد والقهر والقمع. الخطر الثاني: هو الميول التسيبيّة لدى الأفراد والتي تؤدي إلى الإخلال بحقوق المجتمع والآخرين المطلوبة من الفرد، والتلاعب والإهمال في هذه الحقوق هو تعدٍ على حريات الآخرين واختراق لها. هذا الخطر وإن بدا أهون من الأول إلا أن نتائجه تدميرية في النهاية فقيام الفرد بواجباته والتزاماته للآخرين والمجتمع شرط لا يستقيم العمل الجماعي ولا المصالح المشتركة والتي هي عماد العلاقات إلا به[1].

الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مدني بطبعه، يعيش بين كثير من بني جنسه، فلم يقر لأحد بحرية دون آخر، ولكنه أعطى كل واحد منهم حريته كيفما كان، سواء كان فرداً «أو جماعة»، ولذلك وضع قيوداً «ضرورية»، تضمن حرية الجميع، وتتمثل الضوابط التي وضعها الإسلام في الآتي:

أ ـ ألا تؤدي حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ب ـ ألا تفوت حقوقاً أعم منها، وذلك بالنظر إلى قيمتها في ذاتها ورتبتها ونتائجها.

ج ـ ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بحرية الآخرين.

---

(١) الحرية والالتزام، عبدالله المطيري، جريدة الوطن السعودية. العدد (١٧٩٧)، الإرهاب الإعلامي على الوطن العربي، ماجد العبيد، ص١٣٨ ـ ١٣٩.

وبهذه القيود والضوابط ندرك أن الإسلام لم يقرَّ الحرية لفرد على حساب الجماعة، كما لم يثبتها للجماعة على حساب الفرد، ولكنه وازن بينهما، فأعطى كلاًّ منهما حقه.





الأسباب التي شكلت رؤية الغرب للإسلام

هناك عقيدة راسخة في عقول الشعوب المعادية للإسلام في أمريكا ودول أوروبا بأن الرجل المسلم شخص عدواني متخلف، قبيح المنظر بدائي، يمسك في إحدى يديه بكتاب الله وفي اليد الأخرى السلاح، يرتدي جلبابه الأبيض القصير... أما الصورة الأخرى للمسلم؛ فهو رجل يجمع حوله النساء والخمر والطرب والأموال ولا يفكر فكل ما يعنيه هو ملذات الدنيا المادية ويبدد في سبيل ذلك كل شيء... أما الصورة الأشد قسوة فهي تلك التي تصور هذا المسلم بالعداوة للإنسانية والشذوذ، بحيث يتم عرض صورته في هيئة شخص يعتدي على الأطفال الأبرياء ويمزق براءتهم... هذه الصورة المشوهة هي القاعدة التي انطلقت منها كل الحروب ضد الإسلام وشعوبه، سواء كانت بالحرب الاقتصادية تارة أو بالسلاح تارة أخرى، وهو ما حدث في البوسنة والهرسك وأفغانستان وما حدث في السودان والصومال، ولم يزل في فلسطين مستمراً وكذلك كشمير وغيرها من المناطق الإسلامية، وما يتعرض له العراق الآن وإيران ولبنان، كل ذلك هو نفس سيناريو الهجوم، لكن كلما اشتدت الأزمات بالمسلمين لا بد أن يزداد تمسكهم بدينهم، وتقوى وحدتهم لأن العدو الذي يتربص بهم ـ دائماً ـ يجد فرصته في فرقة الأمة لتحقيق أهدافه الاستعمارية[1].

وباستعراض سريع لعدد القنوات التي يملكها اليهود والمجلات والجرائد والإذاعات تدرك أن الغرب ينظر إلينا برؤية معتمة من خلال قنواته هو، في ذلك إلماح جيد، إن الهيمنة والسيطرة الإعلامية التي تمارسها

(١) الإسلام في مرآة الغرب، كارين آرمسترونغ، ص١٣ ـ ١٤، صراع الحضارات أكذوبة غربية، د. مصطفى الشكعة، موقع الإسلام اليوم: www.islamtoday.net

الدول المتقدمة على وسائل الإعلام ناشئة بصفة أساسية عن امتلاكها لأسباب القدرة والسبق والتطور في مجال تقنية المعلومات المتطورة وباستخدام الأقمار الصناعية في كل وسائل الاتصال من طباعة للصحف، وامتلاكها لأقوى الترددات الإذاعية للوصول إلى مساحات واسعة من الكرة الأرضية، بالإضافة للإمكانات المادية الهائلة وأجهزة الاتصال ذات التقنية العالية والمحطات الفضائية التي جعلت عن طريق الأقمار الصناعية من التلفزيون أكثر وسائل الإعلام تأثيراً، وجاء اكتشاف واستخدام تقنية الإنترنت الذي أحدث ثورة في عالم الاتصالات ونقلة كبيرة في نقل وتبادل المعلومات.

وهذه القدرات الهائلة والإمكانات المادية الكبيرة مع التطور التقني في وسائل الإعلام هي التي أكسبت أجهزة الإعلام الغربية الهيمنة والفعالية والتأثير الكبير في وصول الرسالة الإعلامية التي ترغب فيها للمتلقي إن كان في مجتمعها المحلي أو للمجتمع العالمي.

ومن ذلك نلاحظ أن هناك خللاً جسيماً في التوازن الإعلامي بين الدول المتقدمة وتلك الحديثة النمو الذي يجب أن نضع له حداً من خلال تعميق الوعي بتأثير العملية الإعلامية على حياتنا وتنمية إمكاناتنا الذاتية من خلال التعاون، وذلك بالتصميم على مواجهة الإفرازات السلبية التي يفرضها علينا الإعلام الدخيل بمساعدة وسائله ذات التقنية المتطورة(١).

ونتيجة لهيمنة الغرب على الإعلام، وتبعاً للتطور الهائل في وسائل الاتصالات في العصر الحديث اتسعت بدورها دائرة النشاط الإعلامي... وسيطرت سيطرة شبه كاملة على أفكار معظم سكان العالم واستطاع الإعلام

(١) الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر، محمد عبدالله السلامة، مكتبة التوبة بالرياض، ط الأولى ١٤٢٤هـ، ص١٧٤، ١٧٦.



أن يوجهها كيفما شاء سلباً أو إيجاباً خلال قنواته الواسعة وتعدد وسائله البالغة التأثير والفعالية.

فالصحافة الغربية لها اتصالها المباشر بأفراد المجتمع مع قدرتها الفائقة على التأثير في الرأي العام كما أنها تكتسب قوتها من حساسية التدخل في جهازها، وحرمانها من حريتها خاصة أثرها في الولايات المتحدة من خلال التصدي لكشف مواطن الخلل والقصور في الجهاز الإداري. لذلك أصبح ما تقوم به من دعاية وما تقدمه من شائعات له أثر كبير في المجتمعات(١).

وفي دراسة أجراها الباحث السعودي طارق بن فؤاد أبو شنب قدمها لنيل درجة الماجستير في جامعة القاهرة بعنوان: صورة المملكة العربية السعودية في الإعلام الأمريكي قبل وبعد ١١ سبتمبر (دراسة تحليلية على عينة من الصحف الأمريكية). أوضح فيها أن استطلاعاً للرأي أجرته صحيفة واشنطن بوست بالتعاون مع شبكة (إن بي سي) الإخبارية الأمريكية كشف أن ٤٦٪ من الأمريكيين ينظرون إلى المسلمين بصورة سلبية... وقد رصد الباحث الصورة الإعلامية في الولايات المتحدة عقب أحداث ١١ سبتمبر، وقال: إن الخطاب الهجومي تصدر مقدمة أنواع الخطاب بالصحف الأمريكية (عينة البحث) قبل وبعد الأحداث في حين غاب الخطاب الموضوعي، كما استحوذ الخطاب الهجومي على نصيب الأسد في مجلة النيوزويك أيضاً وغاب كذلك الخطاب الموضوعي... وتزعم الصحف الأمريكية أيضاً أن الدين في المملكة العربية السعودية يتعارض مع الديمقراطية واحترام الحريات، وتعتبر الأصوليين الإسلاميين فيها شأنهم شأن الاستبداديين الشيوعيين، فهم بطبيعتهم ضد الديمقراطية والحرية، وفي أعماقهم عدم التسامح والتعاون، وعدم الثقة بالغرب... وكشفت النتائج أيضاً أن حرص

(١) الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر، محمد عبدالله السلامة، مكتبة التوبة بالرياض، ط الأولى ١٤٢٤هـ، ص١٧٧.

الصحف الأمريكية (عينة البحث) على تزييف الحقائق عند تناولها موضوعات تخص المملكة العربية السعودية وفي نفس الوقت حرصت على عدم الاهتمام بعرض وجهة النظر السعودية تجاه المواقف والأحداث بما يعني عدم التزام هذه الصحف بالتوازن والمصداقية في هذه التغطية[1].

من يملك الإعلام الغربي؟

في الإعلام الأمريكي هناك أربع شبكات تلفزيونية تشكل في مجموعها أكثر من ٩٥٪ من الأخبار المحلية والعالمية التي تجمع وتصور وتبث للمواطن الأمريكي، والتي تمثل أهم مصدر إخباري لنسبة ٨٥٪ من الشعب الأمريكي. وهذه الشبكات هي: سي. إن. إن CNN وتملكها شركة تايم - وارنر التي يرأسها جيرالد ليفين (يهودي)، وشبكة إي. بي. سي ABC وتملكها شركة والت ديزني التي يرأسها مايكل إيزنار (يهودي)، وشبكة سي. بي. إس CBS وتملكها شركة وستنجهاوس ويرأس الشبكة إيريك وابر (يهودي)، وشبكة إن. بي. سي NBC وتملكها جنرال إليكتريك ويرأس قطاع الأخبار فيها أندرو لاك (يهودي).

أما الصحافة اليومية، فيمتلك اليهود أكبر ثلاث مؤسسات صحفية أمريكية مؤثرة. وهذه الصحف هي: نيويورك تايمز الموجهة لنبض المجتمع الأمريكي ويتولى رئاستها ويشغل منصب الناشر لها في الوقت الحالي أرثر أوكس سالزبرج (يهودي). واشنطن بوست وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا، ويقرؤها معظم صانعي القرار ابتداءً من البيت الأبيض وقد اشترى إيجين ماير (يهودي) هذه الصحيفة عام ١٩٣٣م ولا تزال مملوكة لعائلته، وتملك الحصة الكبرى فيها إحدى حفيدات إيجين وهي كاثرين ماير (يهودية). أما صحيفة وول ستريت جورنال وهي صحيفة المال والتجارة،

(١) انظر: جريدة الجزيرة السعودية، الخميس ١ ربيع أول ١٤٢٧هـ - ٣٠ مارس ٢٠٠٦م العدد: (١٢٢٣٦).



والتي يقرؤها السياسيون ورؤساء الشركات والمستثمرون وأصحاب الأموال في أمريكا مملوكة لشركة داو جونز التي يرأسها بيتر كان (يهودي).

أما المجلات الأسبوعية، فنجد أن أهمها على الساحة السياسية مملوك تماماً لليهود. وهذه المجلات هي: مجلة التايم وتملكها تايم وارنر التي يرأسها جيرالد ليفين (يهودي)، ومجلة نيوزويك، وهي مملوكة للواشنطن بوست التي ترأسها كاثرين ماير (يهودية)، وأخيراً مجلة يو إس نيوز، ويملك أغلب أسهمها ويرأسها مارتينمر زوكرمان (يهودي)[١].

فلا عجب إذن إذا ما شوهت صورة الصراع في كل مناطق العالم الإسلامي ووجهت لخدمة المصالح الغربية.

وفي الإعلام الأوروبي لا يختلف الأمر كثيراً فقد أعد الدكتور محمد بشاري دراسة متميزة في هذا الجانب ورصد صورة الإسلام في الإعلام الغربي الأوروبي وقد اكتفيت بنقل ما تعرض له الدكتور مما يخص هذا الموضوع هنا:

أذاعت القناة الفرنسية الثانية France (2)، وهي قناة حكومية في برنامج مبعوث خاص Special Envoye في حلقة أذيعت يوم ١٩٩٩/٥/٦ برنامجاً حول وضعية المرأة في باكستان، وذلك نقلاً عن برنامج خاص بقناة الـ«بي. بي. سي» (BBC) البريطانية، وصفه المفكر التونسي محمد الطالبي، بالبرنامج المضلل والمحتال، تحدث معد البرنامج عن «الشريعة الإسلامية التي تحرم على المرأة ولوج عالم الدراسة» في تجاهل متعمد إلى أن أول آية نزلت على المسلمين كانت: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١]. وأن المرأة في باكستان تبقى «ألعوبة في يد الرجل تباع مثلما تباع البهائم»! وغير ذلك من الأباطيل المشينة بالواجب المهني والأخلاقي على حد سواء. وبطبيعة الحال المتكرر، سوف يتم استغلال هذه الصورة، من أجل إسقاطها كما أسلفنا على أوضاع

(١) تقرير: الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع، نشره موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني: www.islammemo.cc

المرأة المسلمة، ليس في باكستان فقط، ولكن في شتى دول العالم الإسلامي.

ولا تزال وسائل الاتصال في الدول الغربية بصفة عامة، تشن حرباً ثقافية ضد العرب والمسلمين ابتداءً من الكتب الدراسية والسينما والمسرح، ومروراً بالشخصيات الكاريكاتورية المروعة التي تتهم المسلمين جميعاً إما بأنهم إرهابيون أو شيوخ نفط، وأن بلادهم بمنزلة صحراء قاحلة وخربة، ووصولاً إلى الكتب التافهة التي كتبها صحفيون مغرضون، وهي الكتب التي أشاعت نماذج إسلامية غريبة تنزع عن الإنسان إنسانيته، وتبرز المسلمين جميعاً بوصفهم قتلة وسفاحين.

ومن أسماء الصحف والمجلات التي يعرف عنها نشر مقالات ودراسات تسيء عموماً إلى صورة المسلمين، نجد «دير شبيغل» في ألمانيا، و«الديلي ميرور»، و«الديلي إكسبرس» في بريطانيا، و«الإكسبرس»، و«لونوفيل أوبسرفاتر» و«لوبوان» في فرنسا[1].

وعموماً تتضح طبيعة التعامل الإعلامي مع القضايا الإسلامية، من خلال أربع قضايا نموذجية، وهي:

- قضية سلمان رشدي.
- قضية الفتيات المحجبات.
- المرأة في الإسلام.
- قضية الجهاد[2].

---

(١) صورة الإسلام في الإعلام الغربي، د. محمد بشاري، دار الفكر بدمشق، ط الأولى ١٤٢٥هـ، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨، وانظر: الإسلام في مرآة الغرب، كارين آرمسترونغ ص١٥، ١٩١، ٢٦١.



وذلك انطلاقاً من نتائج جاءت في الدراسة الأكاديمية للباحث الصادق رابح، وتحمل عنوان: «الإسلام في الخطاب الإعلامي الفرنسي» وفيها اعتمد على صورة هذه النماذج الأربعة في مجلة الإكسبرس (L'Express) ولونوفيل أوبسرفاتر (29) (Le Nouvel Obsevateur).

لقد عنونت المجلة الملف المخصص لقضية الحجاب «بالفخ الديني»، وتضمن الملف ما لا يقل عن سبع مقالات إضافة إلى حوار مطول مع وزير التربية الوطنية آنذاك ليونيل جوسبان، ومن ضمن عناوين المقالات نقرأ مثلاً: «البرقية المشفرة للخمار» بقلم جان دانيال، «بيوت اللاتسامح» بقلم جاك جوليار، «المدرسة، أو الفخ الديني» بقلم إليزابيث شيملا، «نساء محجبات نساء مقهورات» بقلم السياسية الفرنسية فرانسواز جيرو، مشيرة بالمناسبة إلى أن الحجاب يرمز للمكانة الرجعية (retrograde) التي تحتلها المرأة في الإسلام. وأنه آن الوقت للتصدي لهؤلاء الفتيات المحجبات في المدارس الفرنسية، حتى لا يأتي الزمن الذي يطالبن فيه بضرورة السماح بإقامة الصلاة في أثناء الحصص الدراسية، ثم نقرأ عنواناً ملفتاً هو الآخر يتحدث عن «إستراتيجية الإسلاميين»!! بقلم هرفي غاتينو وفريد عيشون، ونجد أيضاً مقالاً مسموماً يدعو لمنع ارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية، بقلم المؤرخ الجزائري محمد حربي، الذي يقارن بين ضجة الحجاب وضجة رواية «آيات شيطانية» لسلمان رشدي، محذراً السلطات الفرنسية ممن وصفهم بالمتشددين الذين إن سمحت ورضخت لهم في هذا الملف، فإنه سيأتي اليوم الذي يطالبون فيه بضرورة التفرقة بين الجنسين في المدارس، متهماً الإسلاميين بالمنافقين.

كما نشرت المجلة في العدد نفسه حواراً مع ليونيل جوسبان، وزير التعليم في تلك الفترة، ومن أهم الأسئلة التي يغلب عليها طابع التضليل وتحريف صورة المرأة في الإسلام، سؤالٌ جاء فيه: إن الحجاب أو «التشادور» في الإسلام يرمز إلى التفرقة الممارسة ضد المرأة في الإسلام،

فهل يمكن أن تسمحوا (والسؤال موجه إلى جوسبان) بمطالب ترسخ من المكانة الرجعية للمرأة[1].

كان مصطلح «الحجاب الإسلامي» أول اصطلاح استعملته «الإكسبرس» في هذه الحملة الإعلامية، وتلتها كما هو منتظر تعابير تصب في خانة الأهداف المرسومة من وراء التضليل الإعلامي، ونقرأ أمثلة من هذه العناوين والعبارات:

«الحجاب الرجعي»، الذي يحيلنا إلى «الخطر الأخضر» والمقصود بالخطر الأخضر هو الإسلام الذي قام بتعويض الخطر السوفياتي الأحمر، وتضيف «الإكسبرس» دائماً: إن الحجاب يعبر عن انتماء ديني، وانتماء سياسي - ديني.

ويشير كاتب آخر في لونوفيل أوبسرفاتور، إلى أن المسألة تشبه تكييف الرأي العام الفرنسي مع ديانة معينة، وأنه آن الأوان للتصدي لذلك، والسبب حسب الكاتب هو أن العقول المحسوبة على الأقلية المسلمة أصبحت مليئة بالحقد.

إننا أمام حرب وطنية، تسبب في اندلاعها حجاب الظلامية (Voile de l’obscurantisme)، كما جاء في عنوان لمقال سيلفيان شتاين بالإكسبرس تصف فيه الحجاب أنه رمز الإسلام الصارم والخالص، والذي لا يقبل الاختلاط، وأن الحجاب يصبح رمزاً للتقهقر الديني، والعودة للوراء، نفرضه على النساء ليصبحن ممثلات لإسلام رجعي متخلف، وقد وصلت الأمور إلى حد الحديث عن «فتيات محجبات تمثلن الإسلام الرجعي»، وعن «حجاب يمثل ممارسة ظلامية تفرضها العائلات الرجعية»، «إن الحجاب يؤدي بالمرأة إلى التقوقع في فضاء الصمت والإهانة والحشمة» حسب جان دانيال لونوفيل أوبسرفاتور.

(١) المصدر السابق، ص٣٩.

ثم قامت مجلة الإكسبرس باختزال موضوع الحجاب الإشكالي ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٤م تحت عنوان: الحجاب، المؤامرة: كيف يتسلل الإسلاميون؟ ونقرأ في العدد نفسه مفردات أبعد ما تكون عن مناقشة موضوع الحجاب في المدارس الفرنسية، بين الحقوق والواجبات، وتثير أغلب هذه المفردات فزعاً واضحاً لدى القارئ الفرنسي، ونذكر منها: الأرخبيل الإسلامي، الجماعة الإسلامية المسلحة، الملتحون، الجبهة الإسلامية للإنقاذ (الجزائرية)، التلاعب، تفشي الحجاب، الأسلحة، الضواحي الحمراء. وكانت المقالات تفرز المواقف الحقيقية للكتاب والمجلات من الموضوع.

ولن نستفيض مع أصداء الحديث عن «الحجاب الشبح الذي قد يهدد باندلاع «حرب أهلية» «civile guerre» في المجتمع الفرنسي، تقف من ورائها مجموعة من التنظيمات، بحسب ما يروق للمسؤولين عن المجلتين أن يستشهدوا به، كأن نقرأ عن «الجماعات الموالية للسعودية» أو «التنظيمات الموالية لإيران»، «الحركات الشيعية»، «الزمر الأفغانية»، «الشبكات الإيرانية»، «الجماعات المتطرفة»، «التجمعات الأصولية»، «المحرضون الموالون للسعودية أو الموالون لإيران»، «التأثير السعودي»، وغيرها من المسميات التي يتعمد من ورائها المحررون توريط بعض الدول الإسلامية.

لم تقتصر مسألة التشويه والتحريض على الكتابات الصحافية، وإنما اتسمت بتدخل بعض المثقفين الفرنسيين البارزين في خطوة تبنتها لونوفيل أوبسرفاتور من خلال نشر أسماء خمسة من أبرز المثقفين الفرنسيين على الصفحة الأولى من أحد أعدادها، يطالبون في نداء سمي بعدم الاستسلام (Profs, ne capitulons pas)، وذلك في رسالة مفتوحة موجهة إلى وزير التربية الوطنية[1].

---

(١) المصدر السابق، ص٤١ ـ ٤٤.

وفي دراسة علمية حول صورة العالم الإسلامي في الإذاعات الأجنبية، أوردها الأستاذ محيي الدين عبدالحليم تبين منها أن نسبة الأخبار السلبية في نشرات الأخبار التي تبثها هيئة الإذاعة البريطانية بلغ ٤٣,٠٩٪ من مجموع ما تبثه عن الدول الإسلامية مقابل ٢١,١٣٪ أخبار إيجابية، وتكاد تتخذ هيئة الإذاعة البريطانية من نشر هذا الجانب من الأخبار مادة دعائية لتشويه صورة العرب والمسلمين، كما كشفت الدراسة أن إذاعة صوت أمريكا تستخدم أداةً للإساءة إلى الدول العربية والإسلامية التي لا ترتبط مع الولايات المتحدة بعلاقات طيبة، أو التي تعارض سياستها الخارجية في المنطقة العربية، كما تقوم هذه الإذاعة بصياغة نشراتها وبرامجها الإخبارية بطريقة فنية يصعب استكشاف نواياها الحقيقية، ويجعل المستمع يستسلم لما تقدمه من معالجات، وهذا يشير على أن الجوانب السلبية تأتي في مقدمة ما يبث عن العالم الإسلامي في وسائل الإعلام الغربية، ومن ثم فإن هذه الوسائل تلعب دوراً بارزاً في تقديم صورة تتسم بالسلبية للدول العربية والإسلامية كأنباء المعارك والحروب والانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية والكوارث والأزمات الاقتصادية، وقد بلغت نسبة الأخبار السلبية التي تقدمها إذاعة صوت أمريكا عن العالم الإسلامي ٥٢,٧٩٪ من مجموع الموضوعات والأخبار التي تتناولها[١].

ويبدو أن هذا جزء من التوجه العام والذي يمكن أن نسميه (توجيه التعميم)، فعندما يعمل مسلم شيئاً فإن هذا يعني أن الإسلام هو الذي عمل ذلك، وهذا التوجه ليس جديداً؛ بل كان موجوداً منذ أمد بعيد، ونستشهد بمثال حول هذه النقطة الهامة، وجاء عندما أبرزت الصحف البريطانية خلال صيف ١٩٩٥م قضية الخادمة الفيليبينية التي حكم عليها بالإعدام في الإمارات لقيامها بقتل مخدومها.

فقد استغلت وسائل الإعلام البريطانية هذه القضية لتمرير صور وأحكام

(١) المصدر السابق، ص٦٩.



جاهزة من جديد موجهة ضد الإسلام والمسلمين عموماً. كما لو أن الذي حصل معها هو أمر عادي ومستشرٍ في العالم الإسلامي!!

وقد نشرت صحيفة «الأوبزرفر» في الصفحة الأولى صورة الخادمة مكبرة تحت عنوان: «صاحبة الصورة عمرها ١٦ عاماً وقامت محكمة إسلامية بالحكم عليها بالإعدام لقيامها بقتل مخدومها الذي اعتدى عليها واغتصبها»، وهو تعليق من شأنه أن يجعل القارئ يكوّن صورة ذهنية مبدئية مغلوطة بطبيعة الحال وخاطئة عن الإسلام، وتم وصف المسلمين بأنهم غير متحضرين أو غير عادلين في قوانينهم، وقد كان لهذه القضية التي ركزت عليها الصحف البريطانية أثر كبير في إثارة الرأي العام الإنجليزي ضد قوانين الشريعة الإسلامية وزيادة مخاوفهم من الإسلام والمسلمين، خاصة أنها حادثة وقعت في بلد عربي مسلم. ومما يؤكد أن هذه المعالجة غير الموضوعية كانت مقصودة، هو أن الصحف لم تكتف بنقل الحدث وتحليله؛ بل تدخلت بالرأي والتعليق دون معرفة كافية بالقوانين الإسلامية، مع أنها تعرضت لضرورة احترام المهاجرين لقوانين البلاد الأوروبية التي يعيشون فيها[١].



(١) المصدر السابق، ص٧٠ ـ ٧١.

دور المسلمين في تكوين هذه الرواسب

لا شك أنه كان هناك دور للمسلمين أنفسهم في تكوين هذه الرواسب سواء في الخلافات الموجودة بين المسلمين التي تصد عن دين الله، أو من بعض أبناء المسلمين الذين انهزموا ورأوا في المشروع الحضاري مخرجاً إلى أفق الحضارة فيما يزعمون فأخذوا يرددون بعض كلام الغرب عن الإسلام فأصبحوا هم أيضاً فتنة لأنه قد يستعملهم الغرب ويستشهد بكلامهم الغرب ضد المسلمين أو ضد الإسلام. فيكون هؤلاء يتحدثون من أبناء جلدتنا ولكنهم يتكلمون بالتنقُّص لهذا الإسلام.

ومثله: قضية الجاليات الإسلامية الموجودة في الغرب وما يحدث بينها من صراعات، فإن هذا يحدث شيئاً من الصد عن دين الله، فإذا كان هؤلاء هم المسلمون لم يتّحدوا فيكون هذا فيه تشويه لصورة الإسلام.

ومثله: بعض أبناء المسلمين الذين يسافرون للفساد كالذين يشربون الخمور في الغرب أو يعاقرون النساء هؤلاء يصدون عن دين الله بسلوكهم وأفعالهم. وعلى هذا، فإن المتعين علينا جميعاً أن نعترف أننا نشارك في الصد عن دين الله.





حقيقة الدعوى وردّ الشبهات

والدَّعاوَى ما لم يُقيموا عليها بَيِّنَاتٍ أبناؤها أَدْعِياءُ

الدعاوى: إما دعاوى حقيقية يجب ألا نتملص منها؛ كدعوى أن في إقامة الحدود الشرعية التي جاء بها الإسلام تشويه لصورة الإسلام السمحة، أو أن تحريم الربا ضرب للاقتصاد العالمي، ودعوى أن في إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حبس لحرية الآخرين ووصاية عليها، ودعوى أن الجهاد تطرف ووحشية وغير ذلك من الدعاوى... وهذه الدعاوى لا يجب أن نتخلص منها لمجرد أن الكافرين شوهوها، أو نقلوها في كتبهم وإعلامهم، وأذاعوها في صحفهم؛ **لماذا؟**

لأن هناك دعاوى حقيقية يدعونها وهي فعلاً حقيقية ومعهم الحق فيها ذلك بسبب تجاوزات بعض أبناء المسلمين في سلوكياتهم وتصرفاتهم واجتهاداتهم، وهنا يجب علينا أن نبين أن المسؤولية ليست على الإسلام، وإنما هي أخطاء الناس فإن قالوها باسم الإسلام فقد كذبوا، وإن فعلوها بمحض تصرفاتهم فهم يحاسبون عليها والإسلام منها براء.

ولهذا يجب علينا أن نحرر قضية الدعاوى والشبهات ونرد عليها بحجة وبرهان وبيان دون تعاطف.

فنأخذ قضية إقامة الحدود فهذا أعظم قانون يحمي الدماء ويحمي الأموال والأعراض والأنساب وقضية الخمور تحمي العقول حتى تفكِّر بشكل صحيح ولئلا تتعدَّى تحت تأثير المسكر وضغط المخدر، وحتى لا ينهك هذا الجسم فلا يصبح عاملاً.

ومثله: تحريم الربا، تبين مثل هذه الأمور حتى يتبين لهؤلاء الناس

أن هذا القانون هو أعدل شريعة ومنهج للبشرية جاء من عند الله سبحانه وتعالى. أما البشرية فإنها لا تصلح أن تحكم (تشرع) للبشرية لأن البشر يتغيرون وينطلقون من واقعهم الآني ومن طبائعهم وهي متعددة وهي متنوعة ومن ميولهم وأذواقهم فمن يحكم من؟ وعقل من نقدم وعاطفة من نقدم.

والرجوع يكون إلى المرجعية التي لا تتغير وهي ما عند الله، فهو أعلم بعباده وبما يصلحهم. وعليه؛ فيجب أن تدحض هذه الشبهات ببعض هذه الحجج الواضحة البيّنة، وأن نعترف بأخطائنا نحن إذ ليس الإسلام مسؤول عنها، وهناك شبهات حول الرسول ﷺ، يجب أن تكشف وتزال، وهناك شبهات وأباطيل في التاريخ، وهناك شبهات ودعاوى يذكرها هؤلاء سواء في مناظراتهم مع المسلمين أو بدون مناظرات.





فكرة الصراع والتدافع والتحدي في التعامل لا في الإزالة

تتخيل من خلال سماعك لكلمة (الصراع) اثنين يحاول كل واحد منهما أن يسقط صاحبه أرضاً. ونلاحظ أن كلمة (صراع) لم ترد في القرآن الكريم؛ ولكن جاء فيه لفظ أجمل وأمتن وأعظم وأشمل ألا وهو: (الدفع والمدافعة)، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، إذاً كلمة الدفع فيها جمال في التعبير وشمولية في المعنى وفيها تحديد للهدف الذي يتم الخلاف والصراع والتحارب عليه ألا وهو دفع الشر بالخير.

يقول أحمد شوقي:

وَالشَّرُّ إن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ ... ذَرعاً وَإن تَلقَهُ بِالشَّرِّ يَنحَسِمِ

ويقول محمد عبد المطلب:

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

والواقع كما هو ظاهر من القرآن الكريم والسُّنة وأقوال المفسرين أن الشيء يدفع بضده، فالشر يدفع بالخير، والكفر يدفع بالإيمان، والباطل يدفع بالحق، والهوى يدفع بالوحي، والظلم يدفع بالعدل، والوحشية والهمجية والتسلط تدفع بالحضارة القائمة على أساس الإيمان، وأيضاً

كلمة الدفع وهي كلمة قرآنية هي تعبر عن الجانب الإيجابي في الصراع، فإن أغلبية الناس دائماً وأبداً يتخوفون من الصراع ومن تبعاته ويظنون أنه شر محض، لكن ليس فيما خلق الله سبحانه وتعالى شر محض، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولهذا يقول العلماء وأهل علماء الاجتماع وعلماء الحروب وعلماء التاريخ: إن الحروب هي التي ولدت التاريخ؛ بل هي التي تحدد المنعطفات الكبرى التي تغير مسيرة التاريخ؛ بل يقولون: إن من الحروب ما كان سبباً في بناء الحضارات وتشيدها، كما أن منها ما كان سبباً في إسقاط الحضارات وانهيارها ويقولون أيضاً: إن الحرب هي التي تزيل أو تثبت التفوق التي يتحقق لحضارة من الحضارات أو لأمة من الأمم فأمامها امتحان الحرب، إما أن تثبت هذه الأمة تفوقها وبقائها وعوامل القوة فيها، أو أن تثبت نقيض ذلك وتتراجع عن موقعها وعن مكانتها.

وهنا يأتي السؤال: هل نسعى إلى إزالة هذا الصراع؟

الصراع باق، والتدافع باق، والتحدي باق، كما في نصوص الكتاب والسُّنة، لكن كيف نتحاور ونتعايش ونتعامل وكيف ندعو إلى الله تعالى. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

الصراع قصة قديمة متجددة انطلقت شرارته بين آدم وإبليس وبين الصالحين من ذريته والمنحرفين إلى يوم القيامة، لتكمل الصراع في العقائد؛ الصراع في الأفكار، والصراع في المناهج، والصراع في الحضارات، وليكون الصدام العسكري القتالي واحداً من أبرز احتمالاتها القائمة ولكن معه أو من دونه فالصراع قائم ومستمر.

وهذه الأمور ينبغي أن نضعها في أنفسنا ونحن نتكلم في الحرية،



حيث لا يمكن أن يوجد زمن كله حرية بدون صراع، لأن الحرية المطلقة ستوجد صراعاً سيئاً، وأن المطالبة بالحرية والموافقة على مبدأ الحرية لا يعني إيقاف الصراع لأنه سنَّة في هذا الكون ولا يتغير ويبقى الناس درجات وصراع يظلم بعضهم بعضاً ويؤذي بعضهم بعضاً ويستعمل ويسخر بعضهم بعضاً، ويتدافعون عدداً من القضايا، ولولا هذا التدافع لما وجدت هذه الطاقات غير العادية في هذا الكون من الصناعات والعلوم والتقنية وغيرها، ولكن الشأن في أن كيف نتعامل في ظل هذا الصراع والتدافع والتحدي ونحقق نسبة معينة ومساحة معينة من الحرية المنضبطة التي لا يمكن أن تقف في وجه الصراع والتحدي.

إن سياسات الغرب الآن تستولي عليه تماماً فكرة صراع الحضارات وإذلال الآخر، وضرورة إلحاقه بالركب الغربي وإعادة صياغته لتلائم النموذج الغربي. . . وبالتالي؛ فإننا يجب أن نسال أنفسنا عدة أسئلة في هذا السياق.

ومع ذلك؛ فإنني إذ أقدم الصورة الواقعية بهذه القتامة لأشير إلى حجم التحديات وليس لأستسلم للإرادة الاستكبارية الراغبة في التسلط والقهر في الخطاب الغربي الاستعلائي، ولا شك أن المواجهة المفروضة تتطلب من قوى الخير في الأرض البحث عن السبل الكافية لتجنيب الشرق والغرب شرور هذا الصراع.

❑ الإسلام والغرب في الإطار الواقعي(١):

أصدر مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) ـ المعني بالدفاع عن صورة الإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة ـ تقريراً صحفياً يلخص عدد من استطلاعات رأي الشعب الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين والتي

(١) العالم الإسلامي والغرب: قراءة في المشهد الثقافي والحضاري، د. محمد الحبش، في مؤتمر: الإسلام والغرب في عالم متغير، ٢٠٠٣م برعاية مركز الدراسات الاستراتيجية ووزارة الإرشاد والأوقاف، الخرطوم.

أصدرتها مؤسسات إعلامية وبحثية أمريكية متنوعة على فترات مختلفة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وتكشف الاستطلاعات المتضمنة في التقرير عدد من الحقائق الهامة المرتبطة بموقف الرأي العام الأمريكي من الإسلام والمسلمين وعلى رأسها أن ثلثي الشعب الأمريكي ٦٥٪ يشعرون بافتقارهم لفهم جيد للإسلام، وأن غالبية الأمريكيين ٥٢٪ يرون أن الإسلام دين سلام لا يشجع العنف ضد غير المسلمين، ويرفض ٥٧٪ من الشعب الأمريكي فكرة وجود حرب بين الإسلام والغرب (الولايات المتحدة وأوروبا).

كما ينظر ٤٢٪ من الأمريكيين نظرة عامة إيجابية نحو الإسلام كدين، وتنظر نسبة أكبر من الأمريكيين نظرة عامة إيجابية نحو الشعوب المسلمة ٦٦٪ ونحو الشعوب العربية ٥٤٪.

في الوقت نفسه ارتفعت نسبة من ينظرون للإسلام نظرة عامة سلبية في أواخر عام ٢٠٠٢ وخلال عام ٢٠٠٣ لتصل إلى ٣٨٪، كما شهدت نسبة الأمريكيين الذي يرون أن الإسلام يشجع العنف ازدياداً مضطرداً منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١، إذ بلغت ٣٤٪ في سبتمبر ٢٠٠٣ مقارنة بنسبة ٢٣٪ في أكتوبر ٢٠٠٢ وبنسبة ١٤٪ فقط في يناير ٢٠٠٢، بمعنى أنها زادت بمعدل ٩ ـ ١٠٪ تقريباً كل عام.

وينقسم الأمريكيون على أن الإسلام يحض على احترام معتقدات أبناء الأديان الأخرى في مقابل ٣٣٪ يرون أن الإسلام لا يحض على ذلك، ويقف ٣٠٪ من الأمريكيين موقفاً محايداً من الفكرة.

وفيما يلي بعض أهم الاستطلاعات المتعلقة بموقف الرأي العام الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.



أولاً: يقر غالبية الأمركيين (٦٥٪ في المتوسط) بعدم فهمهم المبدئي لتعاليم الإسلام ومبادئه، وإن زادت نسبة من يعتقدون أنهم يمتلكون هذا الفهم خلال العام التالي لأحداث سبتمبر إذا وصلت نسبتهم إلى ٣٣٪ في شهر ٢٠٠٣ مقارنة بنسبة ٢٥٪ في شهر أكتوبر ٢٠٠٢م.

ثانياً: الشعب الأمريكي منقسم على نفسه فيما يتعلق بموقفه العام من حيث الاستحسان أو الاستياء نحو الإسلام كدين، وما زالت فئة الأمريكيين الذين ينظرون للإسلام نظرة عامة إيجابية هي الأكبر (٤٢٪ في المتوسط)، ولكنها تراجعت منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، إذ بلغت ٣٩٪ في سبتمبر ٢٠٠٣ مقارنة بنسبة ٤٧٪ في أكتوبر ٢٠٠١م.

في الوقت نفسه عادت نسبة من ينظرون للإسلام بشكل عام سلبي إلى الارتفاع في أواخر عام ٢٠٠٢م وخلال عام ٢٠٠٣م لتصل إلى نسبة ٣٨٪ بعد أن تراجعت إلى ٢٤٪ فقط في أوائل عام ٢٠٠١ ، وهي تتساوى حالياً مع نسبة الأمريكيين الذين نظروا نظرة سلبية للإسلام كدين في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.

في الوقت نفسه يقف حوالى ربع الأمريكيين موقف محايد تجاه الإسلام لا هو إيجابي أو سلبي.

ثالثاً: يعتقد غالبية الأمريكيين ٥٢٪ أن الإسلام لا يشجع العنف ضد غير المسلمين، بينما يعتقد ربعهم تقريباً ٢٣٪ عكس ذلك، وتقف البقية ٢٤٪ موقفاً محايداً، ولكن هناك زيادة واضحة على مدى العامين السابقين في نسبة من يرون أن الإسلام يشجع العنف.

رابعاً: غالبية الأمريكيين (٥٧٪ في المتوسط) يرفضون فكرة وجود حرب بين الإسلام والغرب وإن كانت نسبتهم قد تراجعت من ٦٣٪ في أكتوبر ٢٠٠١ إلى ٥٢٪ في أغسطس ٢٠٠٢م، في الوقت الذي زادت فيه

نسبة من يعتقدون بوجود حرب بين الإسلام والغرب (أمريكا وأوروبا) إلى ٣٥٪ في أغسطس ٢٠٠٢م مقارنة بنسبة ٢٨٪ في أكتوبر ٢٠٠١م.

خامساً: الأمريكيون منقسمون على أنفسهم فيما يتعلق بفهمهم لموقف الإسلام من احترام معتقدات أبناء الديانات الأخرى، إذ يرى ٣٦٪ من الأمريكيين أن الإسلام يحض على احترام معتقدات أبناء الأديان الأخرى في مقابل ٣٣٪ يرون أن الإسلام لا يحض على ذلك، ويقف ٣٠٪ من الأمريكيين، موقفاً محايداً من الفكرة.

كما شهد العامان السابقان تراجعاً مستمراً في نسبة الأمريكيين الذين يرون أن الإسلام يحترم معتقدات أبناء الديانات الأخرى.

سادساً: وقف غالبية الأمريكيين موقفاً إيجابياً من الشعوب المسلمة ٦٦٪ والعربية ٥٤٪ في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.

المصدر الأصلي لهذه الإحصاءات هو موقع www.pollingreport.com المعني بتتبع توجهات الرأي العام الأمريكي.

وهكذا تقدم لنا الإحصائيات الموضوعية قراءة واقعية، للأحداث فحتى في أشد أيام الإدارات الأمريكية تطرفاً هناك منصفون وشرفاء في كل مكان في الأرض ينهضون بدور إيجابي لصالح العدالة والحوار.

ومن الضروري هنا الإشارة؛ إلى الإحصاء الذي أجرته شركة msnbc الأمريكية العملاقة بدءاً من ١/١/٢٠٠٠م وحتى ١/٤/٢٠٠١م، وذلك تحت سؤال واضح: من هو أهم رجل في التاريخ؟ ومع أن الموقع لا يمكن اتهامه أبداً بالانحياز إلى الإسلام، وهو ناطق باللغة الإنكليزية ويعالج قضايا إعلامية وسياسية دولية ولكن النتيجة التي قدمها الاستفتاء بعد ستة عشر شهراً كانت أن المصوتين الذين تجاوزوا الملايين من زوار الموقع توزعوا بمعدل واحد بالمائة لكل من موسى وبوذا ومارتن لوثر وجوزيف سميث والأم تيريزا، وسبعة بالمائة منحوا



صوتهم للسيد المسيح عليه السلام فيما اختار ٨٩٪ أن أهم رجل ظهر في التاريخ هو محمد ﷺ.

إن التقارير التي تقرؤها في هذه الدراسة تؤكد لنا مرة أخرى أن خطاب الأمة الإسلامية لا ينبغي أن يحول دون قراءة واعية للحقائق تمنحنا الفرصة لاكتشاف تيارات أخرى أكثر إنصافاً وعدالة وتفهماً لقضايانا العادلة، وأن هناك إمكانية غير قليلة لجعل الناس يدنو بعضهم من بعض، وندرك فيها مرة أخرى قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]. «لكن هذا التوجه الإيجابي من منصفي الغرب لا يمكن سماعه في ضجيج الثوابت القديمة التي يحتفظ بها الغرب من تراث العصور الوسطى والتي تعمل جهات متعددة الأغراض مختلفة على بعثها ونفخ الحياة فيها بشكل مستمر»[١].



(١) صورة الإسلام في الغرب بين الماضي والحاضر، د. السيد رزق الحجر، ضمن بحوث مؤتمر الإسلام والغرب حوار أم صراع ٢٠٠٢م، جامعة القاهرة كلية دار العلوم، ص٨٥٨.

تحديد الرؤية والموقف من؟ بالنسبة لمن؟

وهنا سؤال مهم: كيف يقال: موقف الإسلام من الغرب وموقفه من الإسلام؟

القضية هي تحاكم إلى الثوابت، هب أن الغرب رفضنا كلية ورفضناه كلية، فلا يمكن أن يبقى هذا العالم منعزل بهذا الشكل أقطاب وأحزاب متباعدة.

ولهذا ينبغي أن نحدد الرؤية والموقف. فمن هو الذي يعتبر حجر الزاوية؟ ومن هو الذي يحكم ويقبل وله حق الرفض والقبول والموافقة؟ ولماذا دائماً نقول: الغرب والإسلام؟ هل الغرب فعلاً يستحق أن يكون هو الحكم؟ ولماذا لا يقال: الموقف الحقيقي فقط؟ ومن هو الأقرب من هذا الموقف الحقيقي، بحيث لا يقال: الشرق الأوسط؟ وكأننا نريد أن نضع الغرب ثابت ونحدد موقفه منا وموقفنا منه.

الصحيح أن تثبت الحقيقة، ثم ننظر أيّنا الأقرب إليها؟ وقطعاً إن المسلمين هم الأجدر أن يكونوا قريبين من هذا الحق، بل هم الأقرب.





ما الذي نتحاكم إليه، هل رؤية الغرب أم حقيقة الإسلام أم القوانين العدلية الثابتة؟

العدل ورفع الظلم والحياء وغيرها من المعاني والقوانين الثابتة لدى الخلق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)﴾ [سبأ: ٢٤].

عند الغرب لا يوجد حقيقة مطلقة؛ بل حقائق نسبية كالكذب مثلاً حقيقة نسبية، وعندنا الكذب حقيقة مطلقة مذمومة، والصدق حقيقة مطلقة ثابتة شريفة، وكذلك العدل. عندهم أيضاً نسبية الأخلاق حيث يجعلون الخلُق مرة حسناً ومرة قبيحاً وهذا غير صحيح. فينبغي أن تثبت قوانين عدلية يحاكم إليها هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولكن عندهم عقولهم والتي يجب أن تأصرهم إلى الإذعان، وسنفوز نحن في الجولة إذا أدركنا أن الإسلام دين الرحمة والعدل والإنسانية والشمول، وهو الدين الذي ما فرط الله فيه من شيء في هذه الحياة ولكن قد نقصر نحن عن إيصاله إلى الناس.



إلى أي حد يملك المسلمون التنازل؟

قد نضطر في فترة من الفترات إلى الهدنة حال الضعف كما نضطر إلى عقد صلح أو إيجاد منظمات بينها أحلاف، وتسن بعض النظريات أنظمة، فعلينا ألا نلزم أجيالنا بعقود بعيدة المدى ومطلقة ولا حدود لها؛ لأن هذه ضربة لازب.

علينا أن نعرف إلى أي حد نتنازل؟ وعن ماذا نتنازل؟ . . . فهناك ثوابت لا يملك أحد أن يتنازل عنها: ثوابت الدين والشرائع المحكمات، حتى وإن ضعف المسلمون أو أوذوا وحيل بينهم وبينها لا يملكون التنازل عنها. بخلاف الحقوق الشخصية المتعلقة بك أنت كشخص في عرض من عروض الدنيا يمكن التنازل عنها، وأما حقوق الله لا يملك الشخص أن يتنازل عنها.

إن هناك مرونة في العهود والعقود والمصالحات وقانون المدافعة والشراكة في المدافعة وهذه موجودة في الإسلام؛ لكن بضوابط واضحة وتحديد زمني، وهذا الموضوع مهم جداً، لأنه لا نهاية لمطالب الكفار لو أردنا أن نحقق ما يريدون. هذا بالنص القرآني الصريح. قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].



إلى متى يبقى المسلمون ينتظرون تقويم منهجهم من الآخرين دون أن يكلفوا أنفسهم عناء المراجعات لمواقفهم؟

صحيح أن في انتقاد الآخرين التفات إلى الذات من الخارج، وقد يستفاد من نقد الأعداء لتقويم المسيرة، لكن عندنا مقاييس ثابتة، إذا اختلفنا في شيء نرده إلى الله وكتابه ورسوله ﷺ وسنّته. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]. دون أن نجعل المقياس موقف الغير أو الآخر الذي هو الكافر.

فإلى متى نظل دائماً نتحاكم إلى رؤية الغرب تجاهنا؛ بل علينا أن نرجع إلى ثوابتنا وإلى الصورة الحقيقية الأصلية وليست المستنسخة عبر الأجيال التي توارثناها عبر تقلباتنا السياسية والاجتماعية (السلم والحرب)، دون أن نكون عبئاً على الآخرين في تقويمنا.

لا بد أن نكلف أنفسنا بمراجعات مواقفنا ولبعض مناهجنا التي هي ضمن التكتيكات، ومراجعات أهدافنا الاستراتيجية وألا نبتعد عنها كثيراً، ثم أن يكون عندنا الجرأة الكافية في التراجع عن أي منهج خاطئ اتخذناه نحن، وليس هو من محكمات الدين أو الشرائع، إنما هو من الوسائل التي تخضع لحيثيات زمانية أو مكانية أو بشرية أو ظروف معينة، فهذه أمور يجب أن تعتبر، وأن يكون لنا حظ منها في تقويم أنفسنا، وأن نتخلى عن بعض أخطائنا.



المراجع

- **الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر**، محمد عبدالله السلامة، مكتبة التوبة بالرياض، ط الأولى ١٤٢٤هـ.
- **صورة الإسلام في الإعلام الغربي**، د. محمد بشاري، دار الفكر بدمشق، ط الأولى ١٤٢٥هـ.
- **العالم الإسلامي والغرب: قراءة في المشهد الثقافي والحضاري**، د. محمد الحبش، في مؤتمر: الإسلام والغرب في عالم متغير، ٢٠٠٣م برعاية مركز الدراسات الاستراتيجية ووزارة الإرشاد والأوقاف، الخرطوم.
- **الأصول الفكرية للإعلام: دراسة نقدية مقارنة**، د. سعيد بن علي ثابت، الرياض: دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **الإسلام في مرآة الغرب**، كارين آرمسترونغ، ترجمة محمد الجورا، دمشق: دار الحصاد، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- **الإرهاب الإعلامي على الوطن العربي**، ماجد العبيد، تقديم: د. أحمد الطحان، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **صورة الإسلام في الغرب بين الماضي والحاضر**، د. السيد رزق الحجر، ضمن بحوث المؤتمر السابع، الإسلام والغرب حوار أم صراع ٢٠٠٢م، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم.
- **صراع الحضارات أم حوار الثقافات.**
- **موقع الإسلام اليوم** www.islamtoday.net .
- **موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني** www.islammemo.cc .
- **جريدة الوطن السعودية العدد (١٧٩٧).**
- **جريدة الجزيرة السعودية العدد (١٢٢٣٦).**
- **الحرية الوجه الآخر**، د. صالح بن عبدالعزيز التويجري.

